الرئيس سياد..
«الحزب هو الضمانة»

ماذا يريد الصوماليون
"حزب النوايا الطيبة" أم الاداة السياسية والتنظيمية القادرة على بناء الاشتراكية

البديل الوحيد : تمكين الجماهير من امتلاك القدرة على فرز قيادتها من بين صفوفها

قبل الغوص في مسألة بناء الحزب التي أوجدت حوارا واسعا وعميقا ، على المستوى الرسمي والشعبي في الصومال، لا بد من الغاء الصوت على المعادلة التي تحكم ضرورة وجود الاداة السياسية والتنظيمية « الحزب » القادرة على ضبط مسيرة التوجه الجماهيري وحمايتها والارتقاء بها من جهة ، والقادرة بشكل اساسي على الفرز الضروري في هذه المرحلة لتحديد معسكر الجماهير ومعسكر اعداء الثورة والقوى المعادية والانتهازية من جهة اخرى ولتحديد المسؤوليات بناء على هذا الفرز، اي وضع حارسه الحقوق والمسؤوليات بدقة تحاشيا مرحلة الحرر الوطني ، والتي بدونها يبدو مستحيلا مرحلة الانتقال الى بناء الاشتراكية التي تطمح بها الثورة الصومالية .

التحديات القومية

واجه الصومال الان واقع تجزئه فرضته السيطرة الاستعمارية على افريقيا ، فقد قسمت الصومال الى خمسة اجزاء ، شكل صوماليا الحالية الجزئين الشمالي والجنوبي فقط ، بينما تحتل اثيوبيا جزءا وكينيا جزءا اخر ويسمى الجزء الثالث الصومال الغربي (جيبوتي) وقد عمل واقع التجزئه هذا على تصعيد الشعور القومي عند الصوماليين ، وربما عملت الثورة على تصعيده لكنه في الاساس كان فاعلا دائما فحين حاول النظام السابق تقديم تنازلات معينة بخصوص الاراضي الصومالية اجتاحت الصومال موجات اضرابات ومظاهرات ايهما يسقط النظام.

اما فيما يخص الدول التي تحتل الاراضي الصومالية بموجب « صكوك الكرم الاوروبي » فقد اثبت حوطا ملحوظا من التوجه القدمي لنظام الحكم الصومالي الحالي ، وعمل اول الامر على تسوية الجبرة الصومالية لدى الدول الافريقية، تمحاول استغلال الغاء الرأسمالية الصومالية التي تضررت مصالحها الاقتصادية في تدبير الانقلابات والمؤامرات .

لكنها بعد فشلها عمدت الى الاساليب الاستعمارية المكشوفة فحشدت قواتها العسكرية بكثافة على طول حدودها مع الصومال وبدأت باطلاق التهديدات ، والصوماليون يعرفون ان القضية هي بشكل اساسي قضية فلق الاستعمار الاوروبي والامريكي من ان تصبح التجربة الصومالية ساعية بهدد مصالحه الاقتصادية في افريقيا التي كانوا يعبرونها الى وقت قريب واحدة من ضياعهم المنعة عن الافكار الهدامة الخطرة . وها هو ذا لد افريقي او .. على حد تعبير الرئيس سياد نفلا عن احد الاوروبيين « ها هم العروس الافارقة يريدون ان يبنوا الاشتراكية العلمية ! »

والصوماليون يعرفون انهم يواجهون تحديات خارجية ليست سهله ، فهم يوقفون الهجوم المعادي أسداء من المناكل والغبر الداخليه مرورا بالحصار الاقتصادي او بتخريب الاقتصاد الوطني ومحاولات الضغط الحديثة لقيادات الثورة وانتهاءا بالهجوم العسكري المفضوح والمباشر .

كولاك وكومبرادور

على الصعيد الداخلي ، رغم حرص المسؤولين الصوماليين على التقليل من خطورة دور القوى المضادة في الداخل اعتمادا على القول بان المجتمع الصومالي غير طبقي والجيش بالتالي كذلك وان الثورة جاءت وهي تستقطب حماس وتأييد الاغلبية الساحقة ذات المصلحة الحقيقية في الثورة ، لكن الواقع يقول ان الثورة لم تتبنى الاشتراكية العلمية الا حسما لاوضاع اقتصادية هي بالضرورة نتيجة اوضاع طبقية سيئه ، وبما ان ٦٣٪ من مزارع الموز يملكها صوماليون فهذا يعني عمليا وجود طبقه (كولاك) تقابلها طبقه فلاحين معدمين ستحاول الثورة الان ـ ضمن خطها عدم الاستيلاء على مزارع الموز ـ استحصال حقوقهم من هؤلاء الاقطاعيين لكنهم في اغلب الاحيان ينجحون في التملص من الالتزامات الجديدة التي جاءت بها قوانين الثورة في مجال تنظيم العلاقه بين الفلاح والمزارع ..

واذا اعتبرنا ان كل قطاع التجارة كان بايدي البرجوازية الصومالية قبل الثورة ، يمكن ان نتخيل بسهوله ان قوى الثورة المضادة في الحقيقه تملك مواصفاتها الطبيعية كاملة ، وتملك امكانية على التعبير عن امعاضها من النهج الاشتراكي للثورة رغم المد الجماهيري العارم الذي جاءت به الثورة والذي لا يزال يحافظ على درجة حرارته المرتفعه . فمثلا استطاع اصحاب مزارع الموز تخفيض انتاج الموز عندما فقدوا السيطره على تسويقه وتصديره ، ولعل الانقلابين العسكريين اللذين حصلا عام ١٩٧٠ و ١٩٧١ لدليل واضح على ان هناك قوى محلية « ذات مصالح اقتصادية مضرره او على وشك التضرر » كانت قادرة على التغلغل في صفوف الجيش واثارة عناصر منه بحد ذرائع وحجج مختلفة في سبيل قلب الاوضاع السياسية ، وصحيح ان القضاء على هاتين المحاولتين كان في غاية البساطه ، لكن القوى الرجعية في الحقيقه ليست غبية دائما وهي ستحاول تكرار محاولتها باكثر من وسيله ، لن تكون اخطرها محاولة التغلغل في صفوف الجماهير او حتى .. في صفوف التنظيم المفرح .

ان هذه المعادله مواجهه اشوره للتحديات الخارجية وضرورة تصليب الاوضاع الداخلية في مواجهه احتمالات الحركات المضادة في الداخل ولتامين المناخ الملائم لترجمه طموحات الثورة في بناء مجتمع العدالة الاجتماعية والاقتصاد الاشتراكي ـ هذه المعادلة هي التي تحكم ضرورة ايجاد الاداة السياسية والتنظيمية الكفيلة بان تكون الاساس الصلب للبناء الطموح الذي يطمح الصوماليون لبناءه .

المكتب السياسي .. تجربة رائدة

في الخطاب الذي القاه الرئيس محمد زياد بري في الذكرى الرابعة للثورة قيم تجربة المكتب السياسي ودوره في تعبئة الجماهير الصومالية والارتقاء بوعيها السياسي والاجتماعي واشار في نهاية خطابه الى ان هذه التجربة وصلت بالجماهير الى مرحلة مميزة سياسيا وتنظيميا الى الحد الذي يمكنها من حماية الثورة ضد العناصر الانتهازية وقال ان من واجبنا الان الوفاء بالعهد الذي قطعناه على انفسنا بنقل السلطة اليها « الى الجماهير » واعلن عن عقد مؤتمر في وقت قريب تدعى له الجماهير العاملة وتنظمه خيرة العناصر في المكتب السياسي ليتولى « المؤتمر » مهمة البت في شكل وتركيب الحزب الاشتراكي الصومالي ..

واكد انه بعد اربع سنوات من العمل المتواصل آن الاوان للشعب ان ينظم نشاطاته وفكره وسياساته من منطلق مفدم جديد الا وهو الحزب، الاداة السياسية لسلطة الشعب .

وحذر الرئيس من الانجراف في وهم القضاء على الرجعية ودعا الى الحذر ومضاعفة الجهد للقضاء على الرجعيين « عملاء الامبريالية المختارين من بين صفوفنا » .

هموم الحزب العتيد ..

وكان علينا ان نلتقي بالرئيس سياد لقاء خاصا نفهم منه بوضوح وصراحة ما الذي يدور في نطاق الحوار الجاري حول هذا الموضوع ، وكيف يرى هو شخصيا (بما يمثله كونه نقطة ارتكاز اساسية ونقطة توازن وحيدة في الحوار الدائر بهذا الخصوص ، وبما يمثله جماهيريا كونه « ابو صوماليا الجديدة ») .

وكان في الذهن عند لقائنا بالرئيس سياد الصورة المعادة والتي لم تتغير جذريا حتى الان للانقلابات العسكرية في العالم الثالث ، وتجارب ترجمه طموحات هذه الانقلابات في خلق التنظيم السياسي .

كما كان في الذهن ايضا خصائص الثورة الصومالية وتوجهاتها التقدمية والالتفاف الجماهيري حولها والتي هي ايضا ـ ولحد الان لا تختلف كليا وتماما عن مسيرة البداية في الانقلابات العسكرية في العالم الثالث . ذلك ان الجيش كمؤسسة وطنية حين يستولي على السلطة يطمح الى تسلم دور السلطة السياسية التي هي وحدها القادرة على اجراء التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والارتقاء بها الى درجة التحول الجذري المؤدية الى ترجمة طموحات بناء المجتمع الاشتراكي ، لكن كل الانقلابات العسكرية تقريبا نتيجة للبنية الطبقية الغير متجانسة للمؤسسة العسكرية ، ونتيجة للوعي السياسي والفكري المحدود ونتيجة للدور الطبقي والاساسي للمؤسسة العسكرية الذي هو حماية السلطة الوطنية ومكسبانها والدفاع عنها ضد الاخطار الخارجية .

نتيجة لكل هذه العوامل تفشل الانقلابات العسكرية في الحلول محل السلطة السياسية ذات المواصفات المحددة القادرة على بناء اقتصاد، وبنية اجتماعية ، ونسيج فكري وسياسي ، واشكال تنظيمية واضحة للعمل الجماهيري . وتنحرف هذه الانقلابات عادة ضمن اتجاهين ، عبادة الشخصية ، او العمل على ايجاد اشكال تنظيمية منغلقة هي جزء او نتاج للفكر والممارسات الليبرالية التي تعتمدها هذه الانظمة والتي تعجز نتيجة لهذا الفكر عن تحمل مسؤوليات حسم الصراع الطبقي لصالح الطبقة العاملة، وما يطرحه هذا الحسم من مهمات بناء اقتصادية وسياسية واجتماعية جذرية لا طاقه لها بتحملها وحسمها وهي المذبذبة، ذات الانتماءات الطبقية البرجوازية ، وغير الواعية لحركة التاريخ .

وتأتي هذه الاشكال التنظيمية وعاء مهزوزا لتجميع الوصوليين ومحترفي السياسة واصحاب المصالح الاقتصادية.. واوتخصار، كل من يرغب في الانتماء !.. او كل من تزكيه السلطة، وتبدأ الحلقه بالتوسع حيث يزكى اعضاء التنظيم الراغبين الجدد ، فاذا انت امام تشكيلة غريبة لا تجمعها حتى الولاء للسلطة التي هي بدورها تشكيله اكثر غرابة ، وتجربة الاتحاد الاشتراكي في اكثر من بلد عربي خير دليل على ذلك .

وقد شكل وجود احزاب سياسية ذات ثقل جماهيري واضح ، شكل كابحا فاعلا في بعض بلدان العالم الثالث حال دون سقوط الانقلابات العسكرية في المحاذير السابقة ، لكن في الصومال ليست هناك قوى سياسية فاعله قبل الثورة قادرة على فرض مشاركتها ببناء جبهة وطنية مثلا لضبط مسيرة الثورة والمشاركه في وضع وتنفيذ برامجها ، فكل القوى السياسية تعتبر ان تجربتها نبدا ـ كقوى منظمة وفاعله ـ مع بداية الثورة .

فما الضمانة اذن ان لا تنجح الرجعية في تدبير انقلاب عسكري مخطط له في الخارج يطيح بكل المكتسبات التي حققتها الجماهير خلال اربع سنوات من عمر الثورة .

مرة اخرى يقول لك الرئيس سياد.. «الحزب هو الضمانة » .

في لقائنا مع الرئيس سياد طرحنا امامه رغبتنا في سماع « هموم الحزب الصومالي الاشتراكي » وكان بيننا هذا الحوار :

المكتب السياسي التنظيم الفعال والوحيد

ـ نطرح في صفوف الشباب القدمي والجماهير مسالة القيادة .. فهم يتساءلون ماذا سيحل بالصومال اذا ما اختفى الرئيس ، كيف تنظرون لهذه المسالة وماذا خططتم لمواجهة السفيل لهذا الخصوص ؟

بالطبع الحزب هو البديل ولو تفحصنا الخلفية السياسية للشباب الصومالي لوجدنا ان القليل لم يات من صفوف الاحزاب السياسية التي كانت موجودة قبل الثورة ، الاغلبية كونت وعيها السياسي اثناء وجودها في الاتحاد السوفياتي، او اوروبا ، او البلاد العربية ، ولم تكن هناك وحدة فكرية تجمع صفوفهم ، لكن خلال اربع سنوات من الكفاح الثوري عملنا على خلق تفاهم او وحدة فكرية بين الشباب الصومالي ، والان وبعد ان كان القليل في حدود الفهم النظري للاشتراكية اصبحوا اكثر اقترابا من الوحدة الفكرية المنشودة وقد امتلكوا الان الفهم العملي بالذات للخصائص الذاتية الموضوعية لشعب الصومال .

الجيش الصومالي .. يختلف

● امامنا تجارب كثيرة حول مسالة تكوين الحزب او التنظيم السياسي في البلدان اثناء وفي العالم العربي ، فشل اغلبها بسبب الرؤية الخاطئة لدور التنظيم او الحزب في البناء الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي يحدد بنيته الطبقية ، كيف تنظرون لمسالة الوضع الطبقي للتنظيم المفرح وكيف تنظرون لدور الجيش في التنظيم ؟

ـ من الخصائص الاساسية للثورة الصومالية هي ان الجيش الصومالي ليس جيشا برجوازيا، واغلبه من ابناء الفقراء وهو يعتبر احدى القضايات للثورة الصومالية ، هناك تصور معين في الخارج بالنسبة للمؤسسة العسكرية بصفه عامة لكن العسكريين الصوماليين يختلفون اختلافا جذريا عن العسكريين في دول كثيرة .

هناك الكثيرون يتساءلون وحتى في بعض الدول الاشتراكية كيف تطرح « الثورة العسكرية » ! الاشتراكية ؟.. وانا اعتقد ان هناك بعض الغموض حتى لدى بعض الشباب الصومالي حول هذه النقطة ، فهم مثلا يتساءلون كيف يمكن ان يلبس الكاكي ان يقود الثورة الاشتراكية . ان المقياس الحقيقي بالنسبة للانسان الاشتراكي ليس البدله العسكرية او المدنية ، لكن الفكر الذي يؤمن به . والجيش الصومالي يختلف عن جيوش اخرى كثيرة ذلك انه لم يتطور على ايدي البرجوازية، لكنه تطور في ظل مفاهيم اشتراكية، ونحن نقوم الان بتعميم وتعميق برنامج توعية سياسية في القوات المسلحة على اسس من الفكر الاشتراكي العلمي . ولقد ثبت ذلك خلال مسيرة بناء الاشتراكية في الصومال خلال اربع سنوات من عمر الثورة.

● لقد اعتمد لينين الى حد ما على الجيش. لكنه كان يصل الى الجيش من خلال اعتماده بشكل اساسي على تنظيم « الحزب الشيوعي».

وفي الصومال هناك كوادر تمارس يوميا الاتصال بالجماهير والعمل على تثويرها ، ولا شك ان هذه الممارسة اهلت هذه الكوادر لتشكيل نواة الحزب المنتظر ، فكيف تفكر في تحمل مسؤوليتك التاريخية في الحفاظ على الثورة الصومالية وتجذيرها ، اعني تمكين هذه النواة من تحمل مسؤولية اساسية في بناء الحزب ؟

ـ ان الحزب هو الضمانة الوحيدة لاستمرار وتطور الثورة ، وخلال اربع سنوات من التجربة الصومالية واعداد الشعب اعدادا فكريا وسياسيا بمختلف القطاعات استطعنا بلورة امكانات المتقدمة والكوادر السياسية القادرة على تحمل مسؤولياتها سواء في التنظيمات الجماهيرية او في القوات المسلحة .

فخلال اربع سنوات من الدورات التثقيفية الهادفة الى اشاعة وتعميق الفكر الاشتراكي العلمي في اوساط الجماهير الصومالية نستطيع ان نقول ان الجماهير الان قادرة على بناء حزبها السياسي من القاعدة، اعتقد اننا في مرحلة بناء الحزب السياسي .

● هناك طريقان لتشوه حزب تقدمي ، اما ان ينشأ تنظيما سريا في ظل حكم رجعي يسلم السلطة ليجمع حوله القوى الوطنية الديمقراطية في جبهة وطنية او ان يصبح ضرورة بعد تسلم السلطة بطريقة من الطرق ، وانتم تخوضون التجربة الثانية كيف تتصورون طبيعة التنظيم المنتظر ؟

ـ نحن نطمح الى ان نبني حزبا طليعيا يضم العناصر الاكثر ثورية وتقدمية والتي تعرست خلال اربع سنوات من عمر الثورة على النضال والعمل الجماهيري .. وانا مقتنع بنجاح تجربتنا لعدة اسباب منها اننا منذ اكتوبر وحتى اعلنا الاشتراكية العلمية ايديولوجية للثورة كنا نؤمن بان الحزب السياسي الذي نريد بناءه يجب ان يأتي من صفوف الجماهير وان لا تسرب اليه العناصر الرجعية والبيروقراطية ، وقد رسخنا مبدأ العمل الجماهيري من اجل ذلك ، وتجربتنا تبشر بالنجاح .

حزب ، ام تجمع

كيف سيتم الفرز ؟ مثلا كيف سيكون التعامل مع الجهاز الاداري ضمن التصور السائد لبنية الحزب الطليعية ، هل كل وزير ، كل مشارك في الثورة ، كل الضباط، او بكلمة هل كل « انسان طيب » سيكون في الحزب ، ام الانسان الاكثر جذرية والذي يستطيع تجذير مواقف الثورة ودفعها نحو بناء الاشتراكية ؟.

لا احاول ان انجاوز سلطتي واطرح تفصيلات كثيرة ، هناك فكرة لتكوين لجنة مهمتها بحث هذه التفصيلات ، شكل التنظيم ، بنيته الطبقية ، فكره ، استراتيجيته . وهذه اللجنة تنتخب من قبل لجان الاحياء التابعة للمكتب السياسي ، وكذلك المؤسسة العسكرية ، وهذا يحد ذاته ضمانة لعدم تسرب العناصر الانتهازية ، ونحن خلال اربع سنوات من عمر الثورة اعتمدنا على خلال برامج التوعية السياسية وبرامج العمل الشعبي على فرز القوى القادرة على تحمل اعباء البناء الاقتصادي والاجتماعي الذي نطمح له ، كما استطعنا ايضا فرز العناصر الكسولة والانتهازية والمعادية .

لذلك فاننا نستطيع اعتماد رأي هذه الجماهير ممثليها الى لجنة الاعداد للتنظيم السياسي المفرح .

البديل الوحيد

بالطبع لا بد وان تكون ميررا حرص الرئيس زياد على (وحدة الصف الصومالي) والحقيقه ان مهمه هذا الرجل في غاية الصعوبه ، فهو يحافظ على توازن في غاية الدقة للاوضاع السياسية في الصومال ، ولا بد للانسان ان يحترم طموحه الكبير في بناء صوماليا الاشتراكيه من الصفر على كل الاصعده ، اقتصاديه ، سياسيه ، اجتماعية ، ويعود له الدور الرئيسي في خلق تجربة المكتب السياسي الذي استطاع ان يتحول من مكتب علاقات عامه الى اداه فعاله في تثوير الجماهير والارتقاء بوعيها السياسي ، اضافه الى انه الشكل التنظيمي الفعال والوحيد في الصومال الان لتاطير وتعبئه الجماهير وترجمه مبادراتها ، ويعتبر المكتب السياسي الان في الصومال ومن قبل جزء كبير من القوى السياسيه النواة المطلوبة للحزب السياسي المنظر .

لكن في الحقيقه لا بد من ابداء ملاحظه بهذا الخصوص ، ان عمل المكتب السياسي ليس مهمات وطبيعة تمارس بعقلية بروقراطيه ، انها بالدرجة الاولى فرصة ذهبية لعمق التجربة التنظيمية لدى الشباب القدمي ، ومجال رحب لتطوير الحوار فيما بينهم من خلال الممارسة اليومية للعمل الجماهيري بما يخدم على المدى المنظور مسالة في غاية الاهميه وهي ايجاد الوحده الكبره داخل هذا المجمع وتعميق هذه الوحدة باستمرار وبكثافة توازي كثافة التجربة التنظيمية التي يخوضونها في عملهم الجماهيري اليومي .

حزب النوايا الطيبة ، لا يبني الاشتراكية

ورغم كل ما يقال في الصومال عن اكثر الطرق جدوى في بناء الحزب ، يظل الاسلوب الحقيقي هو استمرار تثوير الجماهير واستمرار العمل في صفوفها ، والعمل على تمكين هذه الجماهير ـ باستمرار توعيتها ـ على امتلاك القدرة على فرز قياداتها من بين صفوفها .

ومن اجل ان تحافظ الثورة الصومالية على توجهاتها التقدمية ، وحتى تستطيع ان تحافظ على نقاء الدفاع الجماهير حولها ، وحتى تكون قادرة فعلا على انجاز مهمات مرحلة التحرر الوطني والوجه بثبات نحو مرحلة بناء الاشتراكية ، فهي ليست بحاجة الى حزب سلطه بجمع ذوي « النوايا الطيبة » ، انها بحاجة الى حزب تفرزه الحركة الجماهيرية الواعية المنظمة ، حزب الطبقات الكادحة التي لا تعرف المساومة ، واي شكل تنظيمي آخر سيكون حزب « النوايا الحسنة » ومثل هذا الحزب لا علاقة له ببناء المجتمع الاشتراكي ■■

الجيش وخطر الانقلابات العسكرية

نازك